دور الحديث النبوي في وثاقة القراءات القرآنية

عمار كمال إبراهيم عثمان

Ammar.kamal.etman@gmail.com

د. محمد فتحي محمد عبدالجليل

mfathy@unisza.edu.my

ملخص البحث

الحديث النبوي هو صنوان الوحي القرآني، وله دور رئيسي في حفظ مسيرة الدين من كل الجوانب الدعوية والعلمية، وتأتي القراءات القرآنية من ضمن ملامح تلك المسيرة، فالقراءات هي الأوجه الكثيرة التي نزل عليها القرآن تيسيرا على الأمة، وكانت مُكوِّنا رئيسًا من البلاغ النبوي للأمة، فالقرآن الكريم بقراءاته قد وصل إلينا بالرواية المتواترة الصحيحة على بِساط الرواية من لسان النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنه قد قلَّ الحديث عن تلك القضية عن أن للحديث النبوي الدور الرئيسي في وثاقة القراءات القرآنية، وأنه من خلاله قد حَكمنا على صحة نقلها بلا تغيير أو تبديل، وهنا تكمن مشكلة البحث، وقد قام الباحث بتتبع الأحاديث الشريفة حول تلك القضية، ثم بالاستقراء الدقيق لما يخدمها من تلك الأحاديث، ثم الاستشهاد بأقوال العلماء الذين انعقد اجماعهم على تواتر تلك القراءات، والذي كان انعقادهم هذا مبنيٌّ بشكل رئيسي على الأحاديث التي أثبتت هذا، وقد توصل الباحث لعدة نتائج؛ كان من أهمها أن هناك تعلق كبير بين علم الحديث النبوي والقراءات القرآنية المتواترة، كما أن للحديث النبوي دور كبير في توثيق صحة القراءات المتواترة.

الكلمات المفتاحية: الحديث النبوي، وثاقة، القراءات القرآنية

مقدمة

من المسلَّمات أن القرآن الكريم بقراءاته المتواترة قد امتاز بالتكفل الإلهي في حفظه على الأرض، وهذا الحفظ الإلهي كان ممثَّلا في صورتين؛ أولاهما: يُسْر حفظه في صدور الرجال. وثانيهما: سهولة كتابته منذ اليوم الأول للوحي. وكلا الصورتين قد وصلتا لكل الأمة عبر العصور من خلال الرواية؛ وذلك ابتداءً من جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم منه إلى صحابته، ومنهم إلى تابعيهم، وتابعوهم لتابعيهم، وهكذا إلى زماننا هذا، رضي الله عنهم أجمعين، إذن؛ فالرواية الحديثية قد حوت بالقطع القراءات القرآنية جميعا؛ لأنها انتقلت من النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأمة على بساط الرواية؛ والذي قد نسج خيوطه وشذب خطوطه علم الحديث الشريف بفروعه المتعددة، غير أننا نفرق اتفاقا بين ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم كونه قرآنا مُوحَى به إليه، وبين كونه كلاما يندرج تحت تقسيم الحديث النبوي لأنه ليس من جنس القرآن، وما يعنينا في هذا المقام أن الحديث النبوي كان الوسيلة الرئيسية لوثاقة القراءات القرآنية، ولولاه ما وصلت إلينا القراءات، وهذا الأمر لم يتم تناوله بكثرة، ولم يحظ بالاهتمام المناسب بين ثنايا المصنفات العلمية. وإذا نظرنا إلى الأحاديث التي تحدثت عن وثاقة القراءات في الحديث النبوي؛ فيمكننا أن ندرجها على أربعة أشكال؛ الأول: ما تحدث عن القرءان بقراءاته بشكل عام. الثاني: ما تحدث عن مواضع بعينها للقراءات قد رواها الصحابي عن الرسول صلى الله عليه وسلم إما إبرازا لها، أو لمجرد السماع ثم الرواية. الثالث: الأحاديث التي تحدثت عن جمع بعض الصحابة للقرآن في العهد النبوي، أو لغالب سوره. الرابع: الأحاديث التي وصفت طريقة الكتابة القرآنية المحتمِلة للقراءات في العهد النبوي. فنستخلص من الأحاديث المندرجة تحت هذه الأشكال

الأربعة كيف وثَّق الحديث النبوي للقراءات القرآنية، وأسَّس لضمان سلامتها من ثمة تغيير حتى زماننا هذا؟!.

وفيما يلي نستعرض مع التحليل والربط بين الاستنتاجات في الأحاديث النبوية التي كانت سببا في وثاقة القراءات، وسبيلا للاطمئنان إليها بين جموع الأمة الإسلامية، والله أسأل التوفيق في وريقاتي القادمة.

أولا/ حول الأحاديث التي تحدثت عن القراءات بشكل عام

هناك أحاديث كثيرة بين ثنايا كتب السنة قد أثبتت وجود قراءات عدة للقرآن، وذكرت تعدد لهجاته وأوجهه الإعرابية والصرفية والدلالية، وذلك من خلال ذكر التعددية الصوتية للقرآن بشكل عام، وعلى رأس هذه الأحاديث هي ما تحدثت عن نزول القرآن على عدة [أحرف]، والمعروفة اصطلاحا بـــ[أحاديث الأحرف السبعة]، والتي قد ظلت محل اختلاف في تحديد كنهها تفصيلا، حتى أنه قد أُثر عن الكاتب المعروف عباس العقاد قوله: "لو بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لي أن أسأله سؤالا واحدا لسألته عن الأحرف السبعة"، لكن هؤلاء المختلفين متفقون على اختصاصها بقراءات القرآن وتعدديته الصوتية، وهذا محل الشاهد. وفيما يلي نستعرض عدة روايات حول الأحرف السبعة، مع استنباط عدة شواهد بين ثنايها لإبراز قضية إثبات القراءات ووثاقتها في الحديث النبوي:

أ. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأَنِيهَا، فَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ! فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِي

سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا، فَقَال رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ، فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: هَكذَا أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قَال لِيَ: اقْرَأْ، فَقَرَأْتُ، فَقَال: هَكذَا أُنْزِلَتْ، إِن هَذا الْقُرْآنَ أُنْزِل عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ"

إذا نظرنا للحديث السابق فنجده قد وَفّى إلينا بقضيتين مهمتين؛ وهما: إقرار النبي تصريحا بنزول القرآن على سبعة أحرف مختلفة، وأن هذا الاختلاف قد أفرز طريقتين لتلاوة سورة الفرقان انتشرت كل واحدة منهما بين الصحابة، فالتي كانت عند سيدنا عمر بالخطاب غير التي كانت عند سيدنا هشام بن حكيم رضي الله عنهما، وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم تلك الطريقتين؛ بل صرح بنزول كليهما، وهذا دليل قوي على وثاقة تلك القراءات، فقد أقر النبي صلّى الله عليه وسلم القضية العامة بنزول القرآن على سبعة أحرف، كما أقر المثال على ذلك من خلال سورة الفرقان. ولا يفوتنا عند الكلام عن هذا الحديث الشريف استنباط مدى حرص الصحابة على سلامة النص القرآني، ويقظتهم عند ملاحظة أي تغيير لا يعرفونه.

ب. عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه: "أن النبي صلّى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار، قال: فأتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاء الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاء الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا".

إذا تدبرنا التسلسل التخفيفي على الأمة الإسلامية من لدن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف، فنجد أن الغاية من هذه الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن هي التخفيف على الأمة،

وكذلك يبين لنا مدى مثابرة النبي صلى الله عليه وسلم في السعي للتخفيف عن أمته، كما تتجلى لنا رحمة الله المضاعفة على أمة الإسلام حيث ضاعف الأحرف من ثلاثة لسبعة مرة واحدة بعد طلب النبي صلى الله عليه وسلم في المرة الثالثة، كما لا يفوتنا في هذا المقام أن نلتفت إلى الأدب النبوي في مناجاة ربه وحسن التأدب في طلب مطلوبه. إذن؛ فما سبق يؤكد قضية تاريخ الأحرف السبعة بتفصيله، وبأنها كانت طلبا من النبي صلى الله عليه وسلم، وأنها رحمة من الله بخلقه.

ثم تتبين لنا الحقيقة المهمة جدا وهي إقرار أمين الوحي جبريل عليه السلام لصحة القراءات ووثاقتها بقوله: "إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا"، وبأن هذا أمر إلهي وتقدير رباني من لدن الحكيم سبحانه وتعالى، وأن هذه الأحرف السبعة كلها صائبة، متى قرأ أحد من أمة الإسلام بأيٍ منها فهو مصيب.

كما يتبين لنا أيضا ان مصدر هذه الأحرف السبعة هو الوحي الإلهي، وليست من عمل الصحابة رضي الله عنهم؛ بل إن القراءة بها هو أمر إلهي واجب التنفيذ، وذلك من ظاهر قول سيدنا جبريل عليه السلام: "إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على سبعة أحرف"، فلا أدل على وثاقة القراءات من ذلك في هذا الحديث الشريف.

ج. عن أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: "لقي رسول الله صلّى الله عليه وسلم جبريل فقال: يا جبريل إني بعثت إلى أمة أمّيين، منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، قال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف" رواه الترمذي، وفي رواية أبي داود: "ليس منها إلا شاف كاف".

يستنبط من هذا الحديث الشريف أيضا حكمة دقيقة وهي مدى دراية النبي صلى الله عليه وسلم بأمته وبحالهم بقوله: "إني بعثت إلى أمة أمّيين"، وبما أنهم أميون فقد يكون من العسير عليهم أن تسير ألسنتهم

بالقرآن الكريم على حرف واحد، وبالتالي سأل النبي ربه في التخفيف على هذه الأمة الأمية بأن يوسع عليهم الرب سبحانه وتعالى في قراءته بعدة أحرف نظرا لتعدد لهجاتهم وأعمارهم وثقافاتهم، فكانت الأحرف السبعة، وهذا ملمح دقيق جدا يضاف لغيره في إثبات وثاقة الأحرف السبعة [القراءات] في الحديث النبوي الشريف.

وإذا التفتنا إلى رواية أبي داود، وهي: "ليس منها إلا شاف كاف" فهو تعبير دقيق من سيدنا جبريل عليه السلام يدعم وثاقة هذه الأحرف السبعة بكونه كافية وشافية، ومن قبل هذا كونها نازلة من الله سبحانه وتعالى تجليا للطفه ورأفته بعباده، ولا يفوتنا قبل الانتقال من هذه الحديث الكلام عن مراعاة النبي لكل أفراد أمته وحُنُوِّه بهم، قال تعالى: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ".

تعليقا على ما سبق في الروايات الأربعة السابقة، فإنها جميعا قد وثقت للأحرف السبعة، وأثبتت وثاقتها، وذلك من حيث نزولها من عند الله، وبكونها تفسيرا للقراءات المتعددة للقرآن، وبأن بينها خلاف صوتي غرضه التخفيف على ألسنة الأمة لتعدد قدراتها وثقافاتها وألسنتها.

ثانيا/ الأحاديث التي تحدثت عن مواضع بعينها للقراءات

لقد ذخرت كتب السنة بالأحاديث الموثقة لكثير من القراءات في موضع قرآنية بعينها؛ فمنها من وصف قراءة النبي صلى الله عليه وسلم للفظة معينة، ومنها ما جاء وصفا لإقراء النبي صلى الله عليه وسلم لأحد صحابته بقراءة معينة، وهكذا. وفيما يلي أمثلة لتلك المواضع في عدد من كتب الحديث:

1. صحيح الإمام البخاري: الأحاديث التي أثبتت قراءات بعينها كثيرة عند الإمام البخاري رحمه الله، وجلّها كما تتبع الباحث تكمُن في باب التفسير، ونذكر منها على سبيل المثال: عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَقُولُ أَتَهَبُ المَرْأَةُ نَفْسَهَا؟ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ([تُرْجِئُ] مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ)، قُلْتُ: مَا أُرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ" فمحل الشاهد أن لفظة "تُرْجِئُ" قد جاءت مهموزة في الحديث، وهي قراءة متواترة تنتسب إلى الأئمة: ابن كثير، وأبوعمرو، ويعقوب. والرواة: ابن ذكوان عن ابن عامر، وشعبة عن عاصم. كما هناك قراءات أخرى قد ذُكِرَت في غير باب التفسير، غير أن المقام يضيق عن الاستشهاد بها.

2. صحيح الإمام مسلم: فقد تضمن العديد من توثيق القراءات، كما في (باب ما يتعلق بالقراءات)؛ ومنها حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان يقرأ هذا الحرف (فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) يعني بالدال" وهذا ضبط دقيق لكيفية أداء هذه اللفظة بحرف الدال؛ دفعا للإيهام بأنها بالذال.

3. مسند الإمام أحمد بن حنبل: قد اشتمل أيضا على أحاديث كثيرة تتعلق بالقراءات، تضن على الإحصاء، ومنها: عن أنس ابن مالك "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَرَأَهَا: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيْهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ...) نَصَبَ النَّفْسَ وَرَفَعَ الْعَيْنُ" ففي هذه الرواية تم تحديد ضبط آخر كلمة "وَالْعَيْنُ" بالرفع، وهي قراءة متواترة منتسبة إلى الإمام الكسائي.

4. مسند الإمام أبي داود: يحتوي هذا السِّفر على أربعين حديثا؛ قد أدرجها الإمام تحت مسمى (كتاب الحروف والقراءات)، ومنها: عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، قَرَأَ: (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى)" ، فقد أتت الرواية بكسر الخاء في لفظ "وَاتَّخِذُوا"، وهي قراءة متواترة أيضا لكل القراء إلا الأئمة نافع وابن عامر، فقد قرآها بفتح الخاء.

5. سنن الترمذي: ضمنه جامعه ثلاثة وعشرين حديثا تختص بالقراءات، ومنها: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَؤُهَا: (إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ)" ، فنلاحظ أن الرواية أتت بكسر الميم، وفتح اللام التي تليها على سبيل الماضي المبني على الفتح، ثم بفتح الراء، وهي قراءة متواترة تنسب للإمامين المتواترة قراءتيهما: الكسائي ويعقوب، خلافا لبقية العشرة؛ ففتحوا الميم، ورفعوا اللام منونة، وانبنى عليها إخفاءً بغنة لأبي جعفر، ثم رفعوا الراء جميعا.

بعد استعراض الأحاديث السابقة، نجد أنها قد ذكرت القراءات الخاصة بألفاظ قرآنية بعينها، وذلك بتحديد دقيق لكيفية أداءها، والتمييز لما احتاج لتمييز صوتي منها، وهذا وإن كان في مواضع محددة؛ إلا إنها تعطي انطباعا مهما، وملمحا جديرا بالالتفات؛ وهو أنه إذا كانت تلك الدقة متوفرة في نقل أبعاض القراءات بالقراءات المتعددة المستفادة من الأحرف السبعة؛ فإن هذا ينسحب بالتبعية على كامل القرآن؛ مما يعزز الثقة في قراءاته كلها، ويؤكد وثاقتها؛ إذا أنها حازت كل هذا التدقيق من النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في العهد النبوي.

ثالثا/ الأحاديث التي تحدثت عن جمع بعض الصحابة للقرآن في العهد النبوي

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم قد جُمع حفظا بكماله في صدور بعض الصحابة ممن عرفت علاقتهم الوثيقة بالقرآن واختصاصهم به، والذين يطلق عليهم القراء، كما أن القرآن بكماله أيضا كان مفرقا في صدور جموع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وصدورهم هذه هي الوعاء الطاهر الذي لاق بشرف الحفظ الإلهي للقرآن على الأرض، ثم قراء الأمة من بعدهم، قال تعالى: "بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ

الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ" لكن ما يعنينا في هذا المقام هو الحديث عن الصحابة الذين جمعوا القرآن بكماله، وعُرف عنهم ذلك، فهؤلاء بلا شك تنتهي إليهم أسانيد القراءات على اختلافاتها، وكان تواتر جمعهم لكمال القرآن الفضل في وثاقة تلك القراءات؛ إذ أن كل واحد منهم لابد ومعه حرف أو حرفان من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، وبالتالي فإن الناظر إلى نهاية أسانيد القراء العشرة بعد ذلك فيجد أن الأسانيد تنتهي إلى أصحاب الفضل القرآني منهم، وعلى رأسهم سيدنا عبدالله بن مسعود، وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، وغيرهما كذلك من سادة القراء بين الصحابة. وفيما يلي عرض مختصر لبعض الآثار التي تثبت ذلك:

1. ذكر عبدُالله بن عمرو عبدَالله بن مسعود، فقال: "لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: خُذُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ".

2. عن قتادة قال: "سألت أنس بن مالك، من جَمَع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار، أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، ونحن ورثناه".

3. أخرج ابن أبي داود بسند حسن، عن محمد بن كعب القرظي، قال: "جَمَع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن ثابت، وأُبي بن كعب، وأبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري".

4. أخرج البيهقي وابن أبي داود، عن الشعبي، قال: "جَمَع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ستة: أُبي، وزيد، ومعاذ، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد".

5ـــ. عن ابن النديم قال: "إن الجَمّاع للقرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم: علي بن أبي طالب، وسعد بن عبيد، وأبو الدرداء، وعويمر بن زيد، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وأُبي بن كعب، وعبيد بن معاوية، وزيد بن ثابت".

إذا تأملنا الآثار السابقة، فنجدها جميعا قد أعطت لنا عدة أوجه مستفادة، ومهمة، وهي كالآتي:

أ. الاستنباط بأن هناك وجه آخر للثقة في القراءات القرآنية، وهي أن إذا كان هناك جملة من ثقات الصحابة قد اختصوا بجمع القرآن، وإقرائه، فهذا مدعاة للاطمئنان والثقة في جناب القراءات، وصحة تنوعها؛ وذلك لانتشار هذا التنوع بين الصحابة، على اختلاف ألسنتهم وقبائلهم، وهذا التنوع هو الذي ورثته الأمة عنهم كما في الحديث الثاني، بقول سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه: "ونحن ورثناه".

ب. الإفادة من الأمر النبوي: "خذوا القرآن من أربعة"، في مسألة وثاقة القراءات أيضا، وتنوع أصواتها، حيث إن هؤلاء الأربعة من الثابت أن هناك اختلاف بين قراءاتهم، والذي قد ورثته الأمة عن اثنين منهم بعد ذلك، وهما سيدنا ابن مسعود، وسيدنا أُبي بن كعب رضي الله عنهما، حيث اتصلت بعض الأسانيد للقراء العشرة بهم، فمعنى الأمر النبوي "خذوا القرآن" يعطي الثقة في قراءة هؤلاء الأربعة على تنوع قراءاتهم، وهذا لا ينفي طبعا أن الاثنان الآخران لم يكونا جديرا بالنقل عنهما، أو أن تتصل بهما الأسانيد؛ بل إن الأمر فقط أن قراءتهم لم تصل إلينا، وهما سيدنا سالم وسيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنهما.

ج. عند النظر الفاحص لأسماء الصحابة في الروايات السابقة، فنجد هناك تنوع بين قبائلهم، وبالطبع لهجاتهم وفقا لهذا، ومع ذلك عُرف عنهم جمعهم للقرآن، وفي مقدمتهم الصحابة الذين نقل القراء العشرة قراءتهم عنهم، وهم: عثمان وعلي (من قريش)، وعبد الله بن مسعود (الهذلي)، وأُبي بن

كعب وزيد بن ثابت (من بني النجار من الخزرج)، وأبو الدرداء (الخزرجي)، وأبو موسى (الأشعري اليماني)، وفي هذا يقول الإمام الذهبي: "فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي، وأُخذ عنهم عرضا، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة، وقد جَمع القرآن غيرهم من الصحابة كمعاذ بن جبل، وأَبي زيد، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمر، وعتبة بن عامر، ولكن لم تتصل بنا قراءتهم، فلهذا اقتصرت على هؤلاء السبعة رضي الله عنهم"، إذن؛ فما سبق من هذه النقطة يثبت شيئان مهمان؛ وهما: جمع جملة من الصحابة الثقات للقرآن، واشتهارهم بهذا بين الأمة، ثم التنوع بين قراءاتهم نظرا لاختلاف قبائلهم وألسنتهم، وكلاهما يثبت وثاقة القراءات للنص القرآني أيضا.

د. كون الروايات بينها اختلاف في عدد الجامعين للقرآن، فمنها من ذكر أنهم أربعة، أو خمسة، أو ستة، أو تسعة؛ فهذا ليس على سبيل حصر الجمع القرآني على هؤلاء؛ بل هذا خاضع لقول قائل الرواية، حيث إنهم أشخاص مختلفون، وكل واحد منهم يروي برأيه أو معرفته، أو أنه يذكر بعضا من كل، وربما ذكر هؤلاء البعض من باب كونهم مشهورين بهذا أكثر من غيرهم، ويدل على ذلك أن هناك بعض الروايات التي ذكرت اسما واحدا دون الآخرين، ومن هذه الروايات: ما ذكره عبدالحي الكتاني في التراتيب الإدارية: "ورأيت في ترجمة [مجمع بن حارثة] من طبقات ابن سعد: روى الكوفيون أنه جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلّا سورة أو سورتين منه. وفي ترجمته من الاستبصار قال ابن إسحاق: كان [مجمع] غلاما حدثا قد جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم"، إذن؛ فلا تعارض أبدا، ولا ثمة حصر في عدد الجامعين للقرآن في الروايات السابقة، كما أنه لا ينفي حقيقة واضحة، وهي وجود كامل القرآن مفرَّقا بين عموم الصحابة، يكمل بعضهم للآخر، وهذا ما فعله سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه،

حيث جَمَع كامل القرآن من صدور عموم الصحابة، وما اقتصر على هؤلاء الجامعين فقط، والأدلة على ذلك كثيرة ومضطردة.

لكن الشاهد في هذا التعديد هو إثبات فكرة الجمع لكامل القرآن من جملة أفراد اختلفت ألسنتهم تبعا لاختلاف الحروف التي تلقوها من الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فإن هذا يعطي مزيدا من الثقة في القراءات القرآنية أيضا.

رابعا/ الأحاديث التي وصفت طريقة الكتابة القرآنية المحتمِلة للقراءات في العهد النبوي

من الأشياء التي يمكن أن تُضاف لروافد الوثاقة القوية في القراءات القرآنية؛ هو كتابة القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه، والكتابةُ هي تدوين جنس كلمات القرآن على ظهر ما يتيسر لهم من الأدوات القابلة للكتابة عليها كأكتاف الشياة، واللخاف، والجلود، وهذا ثابت في أحاديث كثيرة، وهي كلها تثبتت أن كتابة القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم هي صنوان الحفظ في صدور أصحابه، فلم يكن الاعتماد في العهد النبوي على الحفظ فقط؛ بل دُوِّن أيضا بين يديه صلى الله عليه وسلم، ورغم أن هذه الكتابة لم تكن بالقطع سارية على منهج كتابي وخطِّي واحد، إلا أنها بالتأكيد كانت محتمِلة للأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، أو لبعضها، وإلا لما وصل المنطوق منها إلينا بتلك الاختلافات لو كانت غير محتمِلة لها، وهو الأمر الذي استقام بعد ذلك في الجمعين البكري والعثماني، حيث كتبوه على طريقة الكتابة القرشية، والتي كانت هي الشائعة بين العرب. وفيما يلي عرض لبعض الأحاديث والآثار التي تؤكد هذا الطرح، ومنها:

1. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تَكْتُبُوا عَنِّي، ومَن كَتَبَ عَنِّي غيرَ القُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ...".

2. عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ، مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ".

3. عن عبدالله بن عمرو وأنس بن مالك رضي الله عنهما، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قيِّدُوا العِلمَ بالكِتابِ".

4. عن عثمان بن أبي العاص، قال: " كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَالِسًا إِذْ شَخَصَ بِبَصَرِهِ، ثُمَّ صَوَّبَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَلْزَقَ بِالْأَرْضِ، قَالَ: وَشَخَصَ بِبَصَرِهِ قَالَ: " أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَضَعَ هَذِهِ الْآيَةَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)".

بالعودة للتعليق على هذه الأحاديث والآثار الأربعة السابقة، يمكننا استنباط الآتي:

أ. وضوح الأمر النبوي بعدم الكتابة لغير القرآن كما في الحديث الأول؛ بل أمرهم صلى الله عيه وسلم بمحو ما كتبوه من غير القرآن، وهذا طبعا كان في بادئ الإسلام، لئلا يختلط القرآن بغيره، وهم ما زالوا بمرحلة التأسيس، إذن؛ فهذا الأمر يؤكد الثقة في القراءات أيضا بأنها لم تتبدل أو تختلط بغيرها.

ب. تحذير النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة من السفر بالقرآن المكتوب إلى أرض العدو كما في الحديث الثاني، وقد بيَّن لهم العلة بقوله: "مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ"، وهذا من صور الحرص النبوي على القرآن، مما ينسحب على القراءات أيضا، ويعضد وثاقتها في العهد النبوي، وهذا مكتسب من الأحاديث التي تحدثت عن هذا، ومنها هذا الحديث أيضا.

ج. أن الحث النبوي على قيد العلم "بالكتاب" أي: بالكتابة، كما في الحديث الثالث، هو ملمح مهم، وأولى العلم الواجب تقييده هو القرآن بلا شك، فبهذا يُوْثَق في حفظه بقراءاته.

د. أن العناية الإلهية بالنص القرآني وكتابته كانت ظاهرة وبقوة، وأن ترتيب الآيات إنما هو توقيف من قائلها سبحانه وتعالى، ويدل على ذلك الحديث الرابع، فقد نزل جبريل عليه السلام خصيصا لتحديد موضع آية بشكل دقيق، وهناك في الحقيقة العديد التي تحدثت عن تحديد النبي صلى الله عليه وسلم لموضع الآيات التي تنزل أولا بأول بأن يأمر كتبة الوحي بوضع هذه الآيات في موضع كذا من سورة كذا، إذن هذه الآثار جميعا تؤكد مبدأ العناية الإلهية ومن بعدها النبوية التي حظي بها القرآن بقراءاته، وبها قد سلم من أي تغيير، أو تحريف، أو إسقاط.

وجدير بالإشارة أن نقول بعد كل هذا؛ أنه إذا كان هذا المكتوب هو المنطوق على صورة هذه القراءات المتعددة على اختلافها؛ فلا غرو أن الكتابة كانت داعما قويا لوثاقة نص القراءات، والتي قد تحصلنا على صفتها وكيفيتها عن طريق الروايات الحديثية التي أخبرتنا بذلك بجلاء.

الخاتمة، وأهم النتائج

قد انطلقتُ في بحثي هذا حول وثاقة القراءات من خلال الأحاديث التي تحدثت عن الأحرف السبعة، ثم بعضا من الروايات التي ذكرت الاختلاف المتنوع في قراءة بعض الآيات، ثم الروايات التي ذكرت جمع القرآن بكماله في صدور بعض الصحابة، ثم كتابته في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا كله لإثبات فكرة وثاقة القراءات القرآنية في الحديث النبوي، هذا وقد خلص البحث لعدة نتائج؛ كان من أهمها:

1. أن للحديث النبوي الفضل الرئيسي في وصول القراءات لكل الأمة عبر التاريخ الإسلامي، والاطمئنان لوثاقتها كونها وحيا من عند الله، صحيحة الأصوات، متواترة الرواية.

2. أن القراءات القرآنية هي صنوان الحديث النبوي، كلاهما يوثق الآخر.

3. أن العهد النبوي كان الأساس المتين لتأسيس العلوم الرئيسية لدى المسلمين، وعلى رأسها علمي القراءات والحديث، وفروعهما.

4. أن الرواية الحديثية بشروطها المعتبرة والدقيقة كانت الأرض المهاد، التي مشت عليها مسيرة القراءات؛ مما جعلها جديرة بالثقة لدي كل المسلمين.

لهذا وغيره، يوصى الباحث المهتمين بعلمي القراءات والحديث وما يتعلق بهما بالسعي لمزيد من بحث العلاقات المتعددة بينهما، مما سيؤدي لكنوز لم تُكتشف بعد، ويحتاجها العلم الشرعي.

قائمة المصادر والمراجع

النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (261هـ). *صحيح مسلم*، باب ما يتعلق بالقراءات. جـ1: 660. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (261هـ). *صحيح مسلم*، باب ما يتعلق بالقراءات. جـ1: 662. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة. (1975 م). *سنن الترمذي*، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف. ط2، جـ5: 194. مصر: مطبعة الحلبي.

أبو داود، سليمان بن الأشعث. (275هـ). *سنن أبي داود*، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف. جـ2: 76. بيروت: المكتبة العصرية.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). *صحيح البخاري*، باب التفسير. جـ6: 176. دار طوق النجاة.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (261هـ). *صحيح مسلم*، باب ما يتعلق بالقراءات. جـ1: 565. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البنا، عبد الرحمن بن محمد. (1378 هـ). *الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني*، القسم الثالث من الكتاب فيما يختص بالقرآن الكريم. ط2، جـ18: 131-132. دار إحياء التراث العربي.

أبو داود، سليمان بن الأشعث. (275هـ). *سنن أبي داود، كتاب الحروف والقراءات*. جـ4: 31. بيروت: المكتبة العصرية.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة. (1975 م). *سنن الترمذي*، أبواب القراءات. ط2، جـ5: 187. مصر: مطبعة الحلبي.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). *صحيح البخاري*، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. جـ6: 186. دار طوق النجاة.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ). *صحيح البخاري*، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. جـ6: 187. دار طوق النجاة.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1974 م). *الإتقان غي علوم القرآن*، النوع العشرون: في معرفة حفاظه ورواته. جـ:1، 248. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1974 م). *الإتقان في علوم القرآن*، النوع العشرون: في معرفة حفاظه ورواته. جـــ:1، 248. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق. (1417 هـــ). *الفهرست*، في أخبار العلماء وأسماء كتبهم، ط2: صـــ45. بيروت: دار المعرفة.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (1417 هـــ). *معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار*، الذين عرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم. صـــ20. دار الكتب العلمية.

الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير. (1382هـــ). *التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية*، ذكر من نقل عنه وجوه القراءة من الصحابة. جـــ1: 107، بيروت: دار الأرقم..

النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (261هـــ). *صحيح مسلم*، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم. جـــ4: 298. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (261هـــ). *صحيح مسلم*، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم. جـــ3: 491. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم. (1420هـــ). *صحيح الجامع الصغير وزياداته*، باب القاف. جـــ2: 816. المكتب الإسلامي.

الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان. (1994 م). *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، *كتاب التفسير*، سورة النحل. جـــ7: 48-49. القاهرة: مكتبة القدسي.